تمهيد

معلوم أن المنهج هو خطة plan يتم فى ضوئها تحديد الفرص التعليمية التى يمر بها التلاميذ ، ويحدث من خلالها تغير فى سلوكهم المعرفى والوجدانى والمهارى . وهو أيضًا منظومة متكاملة متفاعلة يؤثر بعضها فى بعض وتتكون تلك المنظومة أو النظام System من عناصر متكاملة هى الأهداف والمحتوى وطرائق التدريس وأساليب التقويم ، تبنى وفق مجموعة من الأسس والمرتكزات التربوية . .

ويتناول الفصل الحالي أسس بناء مناهج التربية الدينية الإسلامية فى المراحل التعليمية المختلفة ، وهذه الأسس هى :

أولا : طبيعة التربية الدينية الإسلامية

تعد دراسة طبيعة المناهج الدراسية من حيث التعرف على خصائصها وبيئتها المعرفية أساسًا مهما لبناء المناهج الدراسية ، والتربية الدينية الإسلامية من حيث بنيتها المعرفية ـ أى الموضوعات التى تتضمنها ، ومدى الثقة والإيمان بها ، والمصادر التى تشتق منها هذه الموضوعات ، الأساسى والفرعى منها ، وخصائصها ـ من الأمور التى ينبغى مراعاتها عند بناء مناهج التربية الدينية الإسلامية فى المراحل التعليمية المختلفة ، وذلك لأن لكل مادة دراسية منطقها وطريقتها فى النظر إلى الوقائع والمظاهر التى تعالجها ، وفى تنظيم هذه الوقائع ، ولكل مادة أيضا تأثير مختلف على عقول التلاميذ ، وتقدم له نمطًا مختلفًا من التدريب العقلى .

والتربية الدينية الإسلامية هى عملية يؤخذ فيها الناشئون من أبناء الإسلام بكل ألوان الأنشطة الموجهة فى ظل الفكر والقيم والمثاليات والمبادئ الإسلامية لتعديل سلوكهم وبناء شخصياتهم على النحو الذى يجعل منهم أفرادا صالحين نافعين لدينهم وأنفسهم ووطنهم وأمتهم الإسلامية والبشرية كلها[1] ، وهى بهذا تغاير مفهوم التربية الإسلامية الذى يعنى منهجا متكاملا للحياة وللنظام التعليمى بكامل مكوناته .

ولما كانت التربية الدينية الإسلامية تشتق مبادئها من الإسلام ذاته ، فإنه قد تم تحديد أبرز غاياتها فى القرآن الكريم الذى يعد المصدر الأول والرئيسى لها ، فهى تهدف إلى إعداد الإنسان الصالح المؤمن بالله العابد له ، وهى بهذا تختلف عن التربيات الأرضية فى أنها لا تعتبر المواطن الصالح هو المساير لوطنه فى الحق والباطل ، بل هو الإنسان المؤمن الذى تتحقق فيه عبودية الله تعالى وحده ، ويتحقق بتحقيقها كل الفضائل الإنسانية ، وهذه الغاية واضحة فى الآيات القرآنية ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦) .

وتتميز التربية الدينية الإسلامية ببعض الخصائص ، من أهمها ما يلي :

١- **إلهية المصدر** : فالعقائد الإسلامية والعبادات والمعاملات والسيرة والأخلاق وبقية جوانب التعلم فى التربية الدينية الإسلامية كلها تعتمد على القرآن الكريم الإلهى المصدر ، كما تعتمد على سنة رسول الله ﷺ الإلهية المصدر أيضا ـ عن طريق الإلهام أو الوحى فى المنام ، وهذه السنة صنو القرآن فى التشريع وإن كانت دونه فى الثبوت والوحى بها ، قال ﷺ : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه

(١) يوسف الحمادى : أساليب التربية الإسلامية ، ص٢١ الرياض : دار المريخ ، ١٩٨٧م.

من حرام فحرموه ، ألاَ لا يَحل لكُم لحمَ الحمارَ الأهلى ، ولا كُل ذِى نابٍ من السباع ، ألاَ ولاَ لُقَطَةٍ من مال معاهدٍ إلا أنْ يَسْتَغْنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقومٍ فعليهم أن يقروهم فَإن لَمْ يُقِروهم فلهم أن يَعْقِبوهم بمثلِ قُراهُم»[1].

وترتب على هذه الطبيعة الإلهية أن أساسيات هذا الدين ثابتة وينبغى أن تقدم إلى النشء على أنها حقائق أو مبادئ لا يقبل الجدل أو المناقشة ، كما ينبغى أن تقدم على أنها تتناسب مع نظرة الإنسان لأنه من لدن حكيم عليم ، وعلى أنها لا ترتبط بمكان أو زمان معينين .

٢- **التكامل** : وتعنى هذه الخاصية أن جوانب الدين الإسلامى متكاملة تتبادل التأثير ، ويتصل بعضها ببعض ، والتكامل له عدة معان منها : أن الجوانب العملية فى الإسلام لا تصبح ذات معنى أو قيمة إلا إذا سبقها اعتقاد أو نية طيبة قال ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[2]، وهذا يعنى ضرورة الانسجام بين العلم والعمل أو بين العقيدة والشريعة ، وضرورة الاتفاق بين الجوانب المختلفة للشخصية ، كما يعنى التكامل أيضا أن الإسلام بجوانبه المختلفة يتناول الفرد من جميع أقطاره الفكرية والنفسية والجسمية بحيث يؤدى هذا إلى تكوين الفرد المسلم المتوازن[3]، كما يعنى التكامل عدم التناقض بين جوانب العملية التربوية الإسلامية ، فأهداف التربية الدينية الإسلامية ومحتواها الذى يترجم هذه الأهداف مشتقان من مصادرها ـ القرآن الكريم والسنة النبوية ـ ، كذلك فإن وسائلها

---

(١) رواه أبو داود فى سننه ، كتاب السنة ، باب فى لزوم السنة ، ٢/٥٠٥.

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ١/٩ ، كتاب بدء الوحى ، حديث رقم ١ عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) فتحى على يونس : اللغة العربية والدين الإسلامى فى رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية ، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٥م .

تتسق مع أهدافها ومحتواها ، وعلى ذلك يوجد تكامل واتساق بين الأهداف والمحتوى والمصادر والوسائل ، وعلى القائمين على وضع المناهج ألا يغفلوا هذه الطبيعة التكاملية عند وضع مناهج التربية الدينية الإسلامية ، وذلك بتدريس فروع المادة ككل متكامل ، حيث يتم اختيار الموضوع الواحد من موضوعات التربية الدينية الإسلامية ، ويتم تناوله بطريقة مترابطة مع الاستدلال عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مع الاستفادة بمعطيات العلم الحديث فى كافة المجالات حتى تتضح حكمة التشريع الإلهى .

٣- **الواقعية** : الشىء الواقعى هو الذى يستريح إليه الإنسان لأنه يوافق فطرته ، ومن ثَمَّ يجد الإنسان له قبولاً عند نفسه ، والتربية الدينية الإسلامية واقعية فى طبيعتها لأن أحكامها المستمدة من الإسلام جاءت موافقة لطبيعة البشر فى كل زمان ومكان ، فهى لم تكبت للبشر غريزة ، ولم تحجب عنهم مصلحة ، وفى نفس الوقت لم تطلق لهم العنان ليشبعوا غرائزهم بالمحرمات ، إنما جاءت أحكامها وسطًا لا إفراط ولا تفريط ، وحيث شرع الله الزواج لينظم غريزة الجنس ، وشرع الصوم ليكبح جماح النفس .. كذلك حرم الزنا والسرقة والقتل . . ليحافظ على البشر ، ويحقق مصالحهم الفردية والاجتماعية ، ويحول دون فساد حياتهم ، كما شرع الحدود ليحدث بها الانزجار عما يتضرر منه البشر ، وبذلك يتحقق الأمن والأمان لهم .

ومن مظاهر واقعية التربية الدينية الإسلامية أنها راعت فطرة البشر إلى اللهو والترويح عن النفس ، فرخصت فى أنواع اللهو كالسباق وألعاب الفروسية وغيرها إذا لم تقترن بقمار ولا بحرام ، ولم تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وخصوصًا فى المناسبات السارة كالأعراس والأعياد وغيرها .

وترتب على هذا أن تكون مناهج التربية الدينية الإسلامية موافقة للطبيعة الإنسانية ، تعمل على تزكيتها ، وحفظها من الانحراف ، وسلامتها ، وأن تنمى القدرة على التفرقة بين الخير والشر ، والحق والباطل ، وبحيث يستطيع الإنسان الاهتداء إلى ذلك دون توجيه خارجى ، قال رسول الله ﷺ : « الإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه غيرك »[1]، كما ينبغى على المنهج أن يكون واقعيًا ، أى ممكن التطبيق ، متناسبًا مع إمكانات البلاد التى تريد تطبيقه ومع ظروفها ومتطلباتها .

٤- **العالمية** : تتميز التربية الدينية الإسلامية بأنها تربية عالمية ، صالحة لكل زمان ومكان مهما اختلفت الأجناس والألسن ، وهى فى ذلك تستمد عالميتها من عالمية الإسلام الذى قامت الأدلة على عالميته وعالمية كتابه وعالمية رسوله ، فالإسلام هو الدين الخاتم الذى لم يرتضِ الله دينًا سواه ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٩) ، وقال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥) ، وكتابه ـ القرآن الكريم ـ كتاب عالمى احتوى على تصورات متكاملة عن جوانب حياة الإنسان ، وحوى إطارًا للمعرفة والقيم ، وتصورات متكاملة عن المجتمع وغير ذلك لما يعتبر فى التحليل النهائى إطارًا عامًا للحياة والتربية[2] قال تعالى : ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (يوسف:١٠٤) ، وقال : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان:١) .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، ١٩٨٠/٤ ، كتاب البر باب تفسير البر والإثم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه .

(٢) على خليل مصطفى أبو العينين : أهداف التربية الإسلامية ، ص ٢٤ المدينة النورة ، مكتبة إبراهيم الحلبى ، ١٩٨٧م .

ورسول الإسلام محمد ﷺ اصطفاه الله من بين خلقه ليكون للعالمين نذيرًا ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧) ، وقال ﷺ في سياق الحديث عما خصه الله تعالى به دون خلقه « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُن نَبِيٌّ قبلي ... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة »[1] وأمته ﷺ من ورائه أمة عالمية ، همها دولى ، ودعوتها للبشرية كلها ، وما أخرجها الله تعالى للناس آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر[2]، قال تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:١١٠) وقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ (البقرة:١٤٣) .

وترتب على هذا ضرورة الاهتمام بإبراز عالمية الفكر الإسلامى ، وصلاحيته لكل زمان ومكان مهما اختلفت الأجناس والألسن ، فالتربية الدينية الإسلامية قادرة على أن تؤتى ثمارها فى أى مجتمع ، لأنها تستند إلى منهج الله ـ تعالى ـ العليم الحكيم .

٥- **الجمع بين الثبات والمرونة :** وتعنى هذه الخاصية أن التربية الدينية الإسلامية تجمع بين الثبات والمرونة الذى يعنى قطعية الأحكام وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، والمرونة تعنى اتساعها لتشمل حاجات العصر وتغيرات الحياة المتجددة .

فمن الأحكام القطعية التى لها صفة الدوام والثبات ولا يمكن أن تخضع لفكرة التغيير التى روجت لها التربية الحديثة ، لأن الطبيعة الإلهية فى هذه العقيدة أمر له مغزاه ، ومن نافلة القول أن نذكر أن الرسالة المحمدية خاتمة

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ، ١/٤٣٥ ، ٤٣٦ ، كتاب التيمم باب قوله تعالى ﴿ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾ عن جابر بن عبد الله.

(٢) أحمد على الإمام : المستقبل للإسلام ، كتاب الأمة ، العدد(٤٦) ، ص٥٧ قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، ١٤١٦هـ .

الرسالات ، وأن العقيدة الإسلامية كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن بين الأحكام الثابتة والمفصلة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أحكام العبادات ، والزواج ، والطلاق ، والمواريث ، وحل البيع ، وحرمة الربا ، وكتابة الدين المؤجل ، ومشروعية المضاربة...إلخ .

وكما أن هناك أحكامًا ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الزمان ، فهناك أحكام وضعت لها قواعد عامة ومبادئ كلية ، وتركت تفصيلات هذه الأحكام مراعاة للأزمان والبيئات المختلفة وتحقيقا لمصالح الناس ورفع الحرج عنهم ، ومن أمثلة هذه الأحكام ، أحكام المعاملات ، فعلى المسلمين أن يفصلوا أحكام معاملتهم بما يلائم بيئاتهم ، وما يتفق ومصالحهم فى حدود الأسس التى وضعها القرآن الكريم ، حيث لم يفصل هذه الأحكام ولم يبين جزئيتها ليكونوا فى سعة من مسايرة التطورات الاقتصادية والحركات التجارية[1].

وهذه حقيقة لابد من الوعى بها ، ومطالبة القائمين على وضع مناهج التربية الدينية الإسلامية بتطوير المناهج القائمة وربطها بالواقع المعيش لتتناسب مع متغيرات العصر الحديث ، مع عدم إغفال أساسيات المعرفة الدينية ، وضرورة مراعاة الثوابت فيها . ولهذه الخصائص تطبيقات فى مناهج التربية الدينية الإسلامية فى المراحل المختلفة ومن هذه التطبيقات :

أ- الاهتمام بالجانب الإلهى فى مناهج التربية الدينية الإسلامية ، وذلك من خلال ربط التلاميذ بالعقيدة الصحيحة والعمل على غرسها فى نفوسهم عن طريق النظر والتأمل وإعمال الفكر فى الإنسان والكون ، مع تبصيرهم بأن الله تعالى هو مصدر التشريع الإسلامى .

---

(١) عبد الوهاب خلاف : الإسلام ومصالح الناس (الربا والقضايا المعاصرة) ، دراسات للفيف من كبار العلماء ص ٢٦ ، هدية مجلة الأزهر ، شعبان ١٤١٠ هـ .

ب ـ العمل على تحقيق النمو الشامل المتكامل المتوازن جسميا وعقليا واجتماعيا .

ج ـ إبراز واقعية التربية الدينية الإسلامية وذلك من خلال تعريف التلاميذ بالحكمة التشريعية للأحكام الدينية حتى يتبين التلاميذ أن فى شرع الله تعالى صلاحا لهم ولمجتمعهم .

د ـ الاهتمام بمبدأ التكامل عند بناء مناهج التربية الدينية الإسلامية حتى توافق المناهج الطبيعية المتكاملة لمادة التربية الدينية الإسلامية فى الأحكام والتشريعات .

هـ ـ الاهتمام بالمفاهيم الأساسية فى التربية الدينية الإسلامية عند وضع المناهج مع ربطها بالواقع المعيش حتى تكون وثيقة الصلة به ، ومحققة الثبات والمرونة .

و ـ الاهتمام بمصادر التربية الدينية الإسلامية وربط محتواها بهذه المصادر حتى يدرك التلاميذ العلاقة بين الأحكام الدينية وبين مصادرها ، ومن ثَمَّ تنمو لديهم ملكة استنباط الأحكام من مصادرها الأصلية .

ز ـ الاهتمام بإبراز عالمية الفكر الإسلامى ، وبيان صلاحيته لكل زمان ومكان مهما اختلفت الأجناس والألسن .

ح ـ ربط مناهج التربية الدينية الإسلامية بالواقع المعيش فى جميع جوانبه ـ الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والعلمية ، ... ـ حتى تصبح المناهج واقعية تراعى واقع الحياة والمجتمع المعيش .